

روح المعاني

وتقرر حرفوه عنه واختار ذلك هنالك لأن فيه ما يقتضي الإتيان بالأدل الأبلغ ويقولون عطف على يحرفون وأكثر العلماء على أن المراد به القول اللساني بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم واختار البعض حمله على ما يعم ذلك وما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به ألسنة حالهم عند تحريف التوراة ولا يقيد حينئذ بزمان أو مكان ولا يخص بمادة دون مادة ويحتاج إلى ارتكاب عموم المجاز لئلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز والمعنى عليه أنهم مع ذلك التحريف يقولون ويفهمون في كل أمر مخالف لأهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم أو بلسان الحال أو المقال عنادا وتحقيقا للمخالفة سمعنا أي فهمنا وعصينا أي لم نأتمر وبذلك فسر الرأغب وأسمع غير مسمع عطف على سمعنا داخل معه تحت القول لكن باعتبار أنه لساني وفي أثناء مخاطبته صلى الله عليه وسلم وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر والخير ويسمى في البديع بالتوجيه كما قال غير واحد ومثلوا له بقوله : خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء واحتماله للشر بأن يحمل على معنى اسمع مدعوا عليك بلا سمعت أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه أو اسمع نأبي السمع عما تسمعه لكراهيته عليك أو اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك تنبو عنه فغير إما حال لا غير وإما مفعول به وصحت الحالية على الاحتمال الأول باعتبار أن الدعاء هو المقصود لهم وأنهم لما قدروا لعنهم الله تعالى إجابته صار كأنه واقع مقرر واحتماله للخير بأن يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع مكروها من قولهم : أسمع فلان إذا سبه وكان أصله أسمع ما يكره فحذف مفعوله نسيا منسيا وتعرف في ذلك وقد كانوا لعنهم الله تعالى يخاطبون بذلك رسول الله A استهزاءا مظهرين له A المعنى الأخير وهم يضمرون سواء ورعنا عطف على ما قبله أي ويقولون أيضا في أثناء خطابهم له A هذا وهو ذو وجهين كسابقه فاحتماله للخير على معنى أمهلنا وانظر إلينا أو انتظرنا نكلمك واحتماله للشر بحمله على السب ففي التيسير : إن راعنا بعينه مما يتسبون به وهو للوصف بالرعونة وقيل : إنه يشبه كلمة سب عندهم عبرانية أو سريانية وهي راعينا وقيل : بل كانوا يشبعون كسر العين ويعنون لعنهم الله تعالى أنه وحاشاه A بمنزلة خدمهم ورعاة غنمهم وقد كانوا يقولون ذلك مظهرين الاحترام والتوقير مضمين ما يستحقون به جهنم وبئس المصير .

وهذا نوع من النفاق ولا ينافيه تصريحهم بالعصيان لما قيل : إن جميع الكفار يخاطبون النبي A بالكفر ولا يخاطبونه بالسب والذم والدعاء E واعترض بأنه حينئذ لا وجه لإيراد السماع والعصيان مع التحريف وإلقاء الكلام المحتمل احتيالا وأجيب بأنه يمكن أن يقال :

المقصود على هذا عد صفاتهم الذميمة لا مجرد التحريف والاحتياال فكأنه قيل : يحرفون كتابهم ويجاهرون بإنكار نبوة محمد A وقيل : إن قولهم سمعنا وعصينا لم يكن بمحضه E بل كان فيما بينهم فلا ينافي نفاقهم في الجملتين بين يديه صلى الله عليه وسلم وقيل : القول نظرا إلى الجملة الأولى حالي وإلى الجملتين الأخيرتين لسانی وقيل : إن الأولى أيضا ذات وجهين كالأخيرتين إذ يحتمل أن يكون مرادهم أطعنا أمرك وعصينا أمر قومنا